



الرغبة من العبد والتثبيت من الله

(028) سورة القصص

الدرس الثالث - الآيات 1-10

2019-02-01

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

رعاية الله عز وجل لسيدنا موسى عليه السلام :

اليوم اللقاء الثالث من لقاءات سورة القصص، اللقاء الثاني لخصنا فيه بداية القصة، قصة موسى، طبعاً نحن نتحدث عن سورة القصص التي محورها العام هو: بيان رعاية الله عز وجل لأوليائه وأنبيائه وأصفياؤه والصالحين من بعدهم إلى يوم القيامة، فمحور السورة يبين هذا الأمر، وهو أن الله تعالى يحمي أوليائه، يدافع عنهم، يتولاهم بالحفظ والرعاية والتأييد، وسنة الله في ذلك، سورة القصص كما أسلفنا بدأت بالفرش التاريخي، بمسرح القصص، القصص التي ستدور في القصة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُمِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَدَّبْحُ آبَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ
عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ

[سورة القصص: 4-5]

رغبة فرعون في مقابل إرادة الله، وكيف أن إرادة الله هي المنتصرة في المبدأ والختام، ثم بدأت قصة موسى عليه السلام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا حَفَّتْ عَلَيْهِ فَالْقَبِي فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزِينِي إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَاتَّقَطَهُ
أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرًّا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا بَشْعُرُونَ

[سورة القصص: 7-9]

ويبين أن هذا الوحي هو وحي إلهام ☐ وأَوْحَيْتَنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ☐، وبدأت القصة من الزاوية التي تناسب محور القصة، أي قصة موسى هنا ستتحدث عن مرحلة من مراحل حياة موسى عليه السلام، تبين أن الله تعالى برعى أوليائه، ويحفظهم، ويؤيدهم، وينصرهم، فبدأت من مرحلة الولادة لأنه أكثر ما تجلت إرادة الله في رعاية موسى عليه السلام في مرحلة الولادة، لأنها كانت أخطر مرحلة، ففي هذه المرحلة كانت نسبة احتمال الموت إذا ما قلنا مئة بالمئة فهي تسعة وتسعون بالمئة، لأن فرعون وطغيانه وجنوده أي مولود ذكر يُقتل، هذا قانون فرعون، ☐ وَأَوْحَيْتَنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ☐، ألقته في اليم ☐ فألقيه في اليم ☐، الآية كان فيها بشارتان ونهيان وأمران، الأمر: أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه، هذان أمران، النهي: ☐ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ☐ البشارتان هما اللتان ستبينان في تممة القصة: ☐ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ ☐ سيعود إليك بعد أن يُلقى في اليم ☐ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُزَكَّاتِ ☐ وهي البشارة الثانية التي ستأتي عندما يستوي موسى عليه السلام ويبلغ أشده ☐ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ☐ كما أسلفنا وهذه لام المال، كان لهم عَدُوًّا وَحَزَنًا في المستقبل وهم لا يتشعرون ☐ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنٌ لِي وَلَكَ لَا تَقْلُوبُ ☐ ألقى الله محبة هذا الغلام في قلب امرأة فرعون فأرادت أن تتخذه ولداً.

الوئوق بوعد الله و اليقين بما عنده :

☐ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قَارِعًا ☐، هنا نبدأ هذا اللقاء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قَارِعًا ☐ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

[سورة القصص: 10]



املاً فؤادك باليقين بوعد الله

ربنا عز وجل عندما يتحدث عن أم موسى لا يذكر اسمها لأن اسمها لا يعنينا، وإنما الذي يعنينا أنها أم موسى، فذكر ما يعنينا حتى لا يشغلنا عن أهداف السورة الكبرى ☐ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قَارِعًا ☐ الفؤاد هو القلب، ☐ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قَارِعًا ☐ ما معنى قارِعًا؟ أي قارِعًا من الأمن، قارِعًا من الطمأنينة، قارِعًا من الراحة، قارِعًا من الأمن على الولد، أصبح قارِعًا ليس فيه أمن ولا سكينته ولا طمأنينته، أصبح فؤادها قارِعًا، الآن أنت قلبك ينبغي أن يكون ممتلئًا، لا تجعل فؤادك قارِعًا، أنت أيها المؤمن لا تجعل فؤادك قارِعًا، أملاه دائماً بحب الله، أملاه باليقين بوعد الله، كأن الآية تشير إشارة ضمنية إلى أن الفؤاد الأصل به ألا يكون قارِعًا، طبعاً هو قارِع من المعاصي والآثام والشهوات، لكن هنا جاءت قارِعًا من غير قيد لتشير إلى أن الأصل هو الامتلاء بالخير، فإذا فرغ من الخير وامتلاً بغير الخير شيء لا معنى له أبداً، فؤادك إما أنه ممتلئ أو قارِع، إذا كان فيه خير، وحب لله، وطاعة لله، ورغبة بما عند الله، ويقين بما عند الله فهو ممتلئ، فإذا أفرغ من هؤلاء أصبح قارِعًا لا قيمة له، فقال هنا: ☐ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قَارِعًا ☐.



جعل الله عز وجل في الأرض أسبأ

☐ إِنْ كَادَتْ كَادَ: فعل من أفعال المقاربة، أي كادت السماء تمطر لكن ما أمطرت لكن اقتربت من الأمطار، كادت السماء تمطر، هنا ☐ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ الهاء تعود على موسى عليه السلام، أي إن كادت لتظهره من شدة الفلق الذي أصبح في قلبها وشدة فراغ قلبها من أي شيء إلا من غلامها، ومحبة هذا الغلام، فأصبح فؤادها قارِعًا، فكادت: قاربت، أي لم يبق سوى أن تصرخ يا ويلاه أين؟ ماذا فعلت في نفسي؟ ألقته في اليم! هل هناك أم تلقي بابنها في اليم! إلا أن تكون موقنة بوعد الله عز وجل، فهي مع كل هذا اليقين لكن بمرحلة معينة ☐ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ☐ سوف تتكلم أحضروا لي ابني، ماذا فعلت بنفسي يا ويلاه؟ ☐ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا: حرف امتناع لوجود، لولا الله لساءت حالة المريض، النحويون يقولون: لولا الطبيب لساءت حالة المريض، الصحيح لولا الله لساءت حالة المريض، أي لولا أن الله أراد به شفاء لساءت حالته أكثر، فوجود إرادة الله في شفاؤه منعت سوء حالته، فلولا حرف امتناع لوجود، وجود شيء منع الآخر، إذا هي ما أبدت به ☐ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ☐، فلأن الله ربط على قلبها، شئها فامتنعت من أن تبدي به فتفسد الخطة، طبعاً لا أحد يفسد خطة الإله، أي الخيارات غير محدودة، لكن الله عز وجل جعل في الأرض أسبأ، بمعنى هي مطلوب منها ألا تتكلم حتى تمضي الأمور كما هي الأسباب والمسببات، فلولا إذا هي حرف امتناع لوجود، وجود الربط على قلبها منع إبداءه، منع أن تبدي بموسى عليه السلام، أي إذا فهما الحروف في اللغة العربية فهما صحيحاً تحل مشكلات كثيرة في التفسير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُ وَيَهُمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ

[سورة يوسف: 24]



الربط على القلب هو التثبيت

همت امرأة العزيز به تريد أن تراوده عن نفسه وأن يقع معها في الفاحشة، وَهَمَّ بِهَا قال بعض المفسرين: وهم يدفعها، لكن الأولى من ذلك أن تتابع الآية: [وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُ وَيَهُمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ]، فلأنه رأى برهان ربه ما هم بها، أي صار الوقف، [وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُ وَيَهُمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ]، أي كاد يفعل لولا أن رأى برهان ربه، لكنه لم يفعل لأنه رأى برهان ربه، وبرهان ربه هو عبارة عن محصلة معرفة عظيمة بالله عز وجل حتى وصل إلى أن يمتنع في هذه اللحظة عن مقارنة المعصية رغم وجود كل الأسباب التي تدعوه إليها، [وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ]، فحرف لولا، وحروف المعاني مهمة جداً في اللغة العربية، [وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى قَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي يَهُ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبَهَا] الربط على القلب هو التثبيت، الربط هو التثبيت، إذا كان عندك شيطان منفصلان وأردت أن تربطهم مع بعضهم ماذا يحدث؟ يشتون مع بعض، فأصل الربط: ربط، ثبت شيئاً بشيء بإحكام، فربط الله على قلبها بمعنى أنه ثبتها على إيمانها وعلى يقينها بموعود الله، ألم يقل لها [إِنَّا رَأَوُوكَ إِيَّاكَ] إذا هو راجع بلا ريب، فلما أحسنت بالقلق والخوف الشديد الذي جعل يدفعها للحظة معينة أن تبدي بموسى ما الذي منعها من ذلك؟ أن الله عز وجل زادها يقيناً بوعدته جل جلاله فربط على قلبها، كان الآية تشير إلى قانون، قانون إلهي وهو: أنت عليك أن تثق بموعود الله عز وجل وتمضي وأنت واثق به.

التثبيت من الله و السعي من العبد :

الآن إن فعلت ذلك وبدت منك رغبة في هذا اليقين وذاك الثبات فالله عز وجل يربط على قلبك فيزيدك، الرغبة منك والتثبيت من الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا

[سورة الإسراء : 74]

[وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ] حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول الخلق رتبة عند الله، ماذا قال الله تعالى له؟ [وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ] إذا التثبيت من الله [لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ] لكن الرغبة في الثبات والسعي للثبات من العبد، والله يربط على قلبك، فأنت إذا وجدت نفسك في لحظة معينة لحظة ضعف طارئ في هذه الحياة كدت تقع في المعصية، أو في الشهوة، أو في الشهوة، فأنت اسع إلى الثبات، واعلم يقيناً بأن الله سوف يثبتك، الله يثبت الذين آمنوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآجِرَةِ وَنُصِّلُ اللَّهُ لِلطَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ

[سورة إبراهيم: 27]

[وَلَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبًا لَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] هي مؤمنة، أي هي ما كانت غير مؤمنة، لكن لتكون من المؤمنين أي تثبت على إيمانها، وتزداد إيماناً مع إيمانها، لأنها هي في البداية إن لم تكن مؤمنة هل كانت الفته في البيم؟ هل يوجد امرأة تلقى ابنها في البيم؟ [فَإِذَا جَفَّتْ غَالِيَهُ فِي الرَّيِّ]، هل هناك امرأة تقول لها: إذا جفت على ابنك القبه في البحر فتلقيه إذا لم يكن عندها إيمان شديد بالله؟ أبداً، فلتكون من المؤمنين بوعد الله، وأشد ثباتاً على يقينها بوعد الله، بهذا المعنى، إذا أم موسى فوآدها أصبح فارغاً، القلق يعصف به من كل جانب، الفراغ دائماً يوحى بالخوف مثل الآية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ

[سورة إبراهيم: 43]



الفراغ و الخوف متلازمان

تخيل ليلة باردة، وفيها عواصف، والغرفة باردة، وفارغة، والنافذة مفتوحة، والهواء يعصف بها، هذا يدعو إلى الخوف بشكل طبيعي، الفراغ مع الخوف متلازمان، [وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ]، فارغة من كل شيء، فالخوف يعصف بها، أما المؤمن فقلبه ثابت، ثابت بالله، باليقين بوعده الله.

إذا أم موسى بهذا الوضع وصل بها الخوف والقلق على ابنها أنها كادت تبدي به، لكن الله عز وجل كافأها على يقينها بوعده بثباتٍ آخر، ثبتها أكثر، وجعلها تؤمن بوعده الله أكثر، فامتنت عن أن تنادي أو تستصرخ أو تستغيث تريد ابنها الذي جعلته في اليم.

تتبع أخت موسى أثر أخيها و الاطمئنان عليه :

الآن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ وَقَالَتْ لَأُخْبِرَنَّكِ بِهِ ۖ وَلَكِن مَّا يَشْعُرُونَ

[سورة القصص: 11]

[وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ] وقالت أم موسى لأخت موسى: قُصِّيهِ، أي تتبعي أثره، ومنه سورة القصص، لماذا سميت القصة قصة؟ لأننا نتتبع فيها أخبار الأشخاص ثم ينبغي بعد ذلك أن نتتبع فيها العبر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

[سورة يوسف: 111]



كل قصة نافعة فيها عبرة

القصة الأدبية مجردة عن العبر ربما، يتتبع الإنسان فيها الأخبار، ماذا حدث مع فلان، هل تزوجها أم لم يتزوجها، هل رزق بمولود أم لم يرزق، شأن القصة أنها تُتبع أخبارها، الخبر العادي لا يتتبع، أما القصة فأنت دائماً تسعى لتصل إلى نهايتها، فلذلك سميت قصة، لكن شأن القصة القرآنية، والقصص النبوي، والقصص النافعة أن تتبّع بعد أخبارها العبرة منها، فتتقصى آثار هذه القصة في نفسك، ما الذي تركته القصة في نفسي بعد أن قرأتها؟ أنت الآن قرأت قصة موسى عليه السلام في ولادته، هل ازدادت يقيناً بموعود الله عز وجل؟ هل أيقنت أن الله يرعى أوليائه وأصفياه وأحبابه؟ هل أيقنت أن إرادة الله فوق كل إرادة؟ هل أيقنت أن الله تعالى غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يشعرون؟ هل أيقنت أنه كما أهلك فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى سبيلك الطغاة والجبابرة في هذا الزمن الذين يقولون بلسان حالهم أنا ربكم الأعلى؟ هذا تتبّع الأثر، ومنه القصاص، القصاص هو تتبّع للأثر حتى تأخذ للمظلوم حقه من الظالم، أو للمقتول حقه من القاتل، فجازبه على قتله بالقتل فهو قصاص (تتبع)، فسمي قصاصاً.

وقالت لأخيته فُصَّيهِ، أي تتبعي آثاره، هو في اليم، أين وصل التابوت؟ غرق؟ التقطه أحد؟ أي باب التقطه؟ ماذا صنعوا به؟ فُصَّيهِ قَبَضَتْ يه عن جُنُبٍ عن جنب إشارة للبعد مع عدم المواجهة، أي هي تحاول أن تراه دون أن يراها أحد، اليوم في التصوير يصورون أحياناً عن جنب، أي المتكلم يتكلم بهذه الجهة، والتصوير يأتي من الجهة الثانية، حتى لا يكون هناك مباشرة، أو يضعون كاميرات ويتقلون بينهم حتى يبقى يتابع، هذه الكاميرا عن جنب، تكون الكاميرا هكذا وأنت هكذا تكون، فهي عن جنب، فهي قَبَضَتْ يه عن جُنُبٍ أي هي لم تفعل مواجهة للإبصار به، لم تدخل القصر وقالت: أين هو؟ القصر هنا وهي تمضي بعيداً عنه وتنتظر ما الذي حصل، انظر إلى التعبير والتصوير القرآني: قَبَضَتْ يه عن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أي لا يشعرون بها أو إن شعروا بها لا يعلمون أنها أخته، لو أن أحداً رآها تنظر فهي واحدة تتابع الحدث، تنظر ماذا يحدث حول القصر، قَبَضَتْ يه عن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

على الإنسان أن يأخذ بالأسباب و يترك تدبير العواقب لرب الأسباب :



أنت عليك بالأسباب

الآن التدابير الإلهية متتالية، التدبير الأول: ألقه في اليم، ولكن هذا لا يكفي، لا تُدَبِّرْ لك أمراً، أي لا تأخذ بالأسباب، لا، انتبهوا، هناك أشخاص يفكرون أنك أنت لا تدبر، لك مدبر الله جل جلاله، وأنت لا تشتغل شيئاً، الله يدبر الأمور، لا، معاذ الله، لا تدبر أي أنت اسع في الأسباب، واترك تدبير العواقب لرب الأسباب، أنت عليك بالأسباب، ودع التدبير لرب الأسباب، فأنت أحياناً عندما تقول: أريد أن أصل إلى ذلك ربما لا تصل، ولكن أنت عليك أن تتخذ بالأسباب، فلا تدبر أي لا تنتظر في العواقب، لأن الدبر هو العاقبة [وَلَوْ أَعْلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا دَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدِ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ قَدْ بَاءَ بِعَصَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ ۚ وَيَسِّنَّ الْمَصِيرُ

[سورة الأنفال: 16]

الدُّبُرُ هو العاقبة، فأنت لا تنظر في التدبير، الأمر في عاقبته، أنت اتخذ أسبابك في الدنيا، ودع تدبيرك لرب العباد، لا تدبر لك أمراً، هو المدبر جل جلاله (يدبر الأمر) كما جاء في القرآن الكريم.



القرآن يعلمك أن الحياة تمشي وفق خطة

الفكرة التي أريد أن أقولها: أنت عندما تمضي في شيء دع التدبير لرب الأسباب جل جلاله، فقال: [وَحَرِّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاصِعَ] انظر تدبير الإله، أول شيء: ألقه في اليم، ألقته في اليم، هذا التابوت كان من الممكن أن يغرق، تأتيه موجة عاتية كبيرة فيغرق مثلاً، أو يرتطم بشيء، أو يموت الغلام لسبب أو لآخر، كان من الممكن أن يقف عند باب منزل، أهله خائفون من فرعون أكثر من خوف الجميع فيسلمونه لجنود فرعون من غير علم زوجة فرعون فيقتل، وكان من الممكن أن يمضي إلى مكان لا يعلمه إلا الله، ولا أحد يعلم أين ذهب، أي كل الاحتمالات كانت قائمة، دبر الله الأمر فوصل موسى إلى قصر فرعون، الآن إذا ربوه فإن أمه حرمت منه، أي إذا هم أخذوه وأرضعوه وترى في قصرهم، ولكن هنا قال الله عز وجل: [إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ] كيف تتم البشارة؟ ألم يكن بإمكان ربنا عز وجل أن يحقق البشارة من غير أن يعطيك الأسباب التي حصلت؟ أي بمعنى هم أخذوه وذهبوا وسلموها طفلها، فرد إليها، أي معجزة من غير سبب، ممكن، لكن ربنا عز وجل دائماً في القرآن الكريم يعلمك أن الحياة تمشي وفق خطة: واحد، اثنان، ثلاثة، فهو يجعل أسباباً لما يريد، فلماذا أنت تريد شيئاً بلا سبب؟! هو يقدر جل جلاله على أن يحقق إرادته المطلقة بلا أسباب، لكنه رغم ذلك يجعل لها سبباً ليعلمك أنك أيها المخلوق الضعيف، لماذا تريد أن تحقق أشياءك في الحياة بلا أسباب إذا كان ربك يجعل للأشياء أسباباً؟

إرادة الله نافذة في كل شيء :

فكيف الأسباب الآن؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَحَرِّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاصِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُوهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ

[سورة القصص: 12]

المَرَاصِعُ: جمع مُرْصِعة أو مُرْضِع، المرصعة أنى فيجوز فيها مُرْضِع ومُرْصِعة [وَحَرِّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاصِعَ مِنْ قَبْلُ] أي إرادة الله نافذة، فلما وضعوه لئرضعه مثلاً زوجة فرعون فلم يقبل نديها، جاؤا بالثانية، بالثالثة في القصر من ترضع لكي ترضعه، لا أحد يستطيع، لا يقبل ندياً، [وَحَرِّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاصِعَ مِنْ قَبْلُ] فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُوهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ نصح الحدث من بعد، فلما صار دورها تدخلت [فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُوهُ] الكفالة هي الرعاية والعناية، أي هم يأخذونه، يكفلونه، [يَكْفُلُوهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ] نصح باللام، فأقول: نصح له وشكر له، ولا أقول نصحه أو شكره وإن كانت صحيحة لكن الأفصح له، والقرآن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

[سورة البقرة: 172]



النصح أن أعطيك من خبرتي شيئاً

النصح أن أنصح لك، بمعنى أن أعطيك من خبرتي شيئاً، أن أعاونك في شيء، فأنا أنصح لك، هنا [وَهُمْ لَهُ تَاصِحُونَ] قال المفسرون: هنا النصح بمعنى الحفظ، أي [وَهُمْ لَهُ تَاصِحُونَ] النصيحة هنا معناها الحفظ، أي وهم يحفظونه لكم، وتحمل المعاني الثانية: أي هذا الغلام سيربى في بيتي؛ أهله ينصحون لهذا الغلام أي لا يأتون بشيء فيه مضرة له، وهذا معنى الحفظ والتأييد [وَهُمْ لَهُ تَاصِحُونَ].

من نما عقله آمن بعقله وليس بعينه :

الآن تحقق الوعد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

[سورة القصص: 13]



العلم الشهودي أن ترى بعينك

[فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ] جاءت بالفاء أي إذا أخذناها بالعطف فَرَدَدْنَاهُ سريعة بالتعقيب، أخذناها بالاستئناف [فَرَدَدْنَاهُ]، [فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ] ألم يقل: [إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ] تحقق الوعد الأول، [فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ] قرار العين هو هدوءها وسكونها بعد أن تحقق ما تريد [كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ] على فراق ابنها [فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ]، [وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ] العلم نوعان: هناك علم قد يصل إلى اليقين لكنه ليس شهودياً، وهناك علم شهودي، العلم الشهودي أن ترى بعينك، الآن أم موسى عندما قال الله لها: [قَالَ قَبِيؤُا فِي الْبَيْمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ] هل علمت أم لم تعلم؟ علمت، ولو لم تعلم لما ألقته، لأنها لو احتفظت به يمكن أن تنتعم به يومين أو ثلاثة إلى أن يكتشفوا وجوده، ويمكن أن يغيروا رأيهم، ويمكن أن يحصل شيء غير متوقع، أما إذا ألقته في البيم فأصبحت نسبة النجاة فأصبح فعلها هذا يتناقض مع العقل ومع المنطق، لولا أنه وحي من الله، فهذه كانت عالمة بحق لو لم تعلم أن الله سيرده لما ألقته، فلماذا قال الله: [وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ] لأنها انتقلت من العلم اليقيني أو العلم الذي سيحصل إلى العلم الذي تشهد به عينها، أصبح بين يديها، فعلمت أن وعد الله حق شهودياً، ذاك العلم الأول ربما يصل إلى اليقين لكنه ليس علماً شهودياً، أي أنت تقف خلف جدار، وهناك دخان يصعد من خلف الجدار، ورائحة احتراق، تقول يقيناً مئة بالمئة هناك نار، التفت وأصبحت خلف الجدار ورأيت النار ورأيت الحريق بعينك، الآن علمت أن الاحتراق حق، وقبل عندما كنت خلف الجدار ما علمت، إذا كنت عاقلاً يجب أن تعرف وأنت خلف الجدار أيضاً، لأن الأثر يدل على المؤثر، والبغرة تدل على البعير، فالعاقل يعلم قبل أن يعلم، متى يعلم الإنسان يقيناً أن الموت حق؟ وهو يفرغر، فقال فرعون: أمنتُ بالذي أمنت به بنو إسرائيل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَاوَرَتَا يُنَبِي إِسْرَائِيلَ التَّحْرَ قَاتِبَعَهُمْ وَرَعُونَ وَجُنُودُهُ بَغِيًّا وَعَدُوًّا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ

[سورة يونس: 90]

لأنه أصبح بالعلم الشهودي، أما العاقل من اليوم فيعلم أنه سيموت يقيناً، فإذا قلنا إنه عليم أن الموت حق لحظة الموت، فهذا يعني أنه انتقل من العلم الأول إلى العلم الثاني وهو شهود الحادثة بعينه، لكن لا تعني أنه لم يكن يعلم إذا كان عاقلاً، فهي كانت تعلم لكن الآن تحقق علمها اليقيني، نظير ذلك قصة إبراهيم عليه السلام، بعض الناس يستغربون أنه كيف قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

[سورة البقرة: 260]



كلما نما عقل الإنسان يؤمن بعقله وليس بعينه
هو كان يريد الانتقال إلى العلم الشهودي، إبراهيم عليه السلام كان يريد أن ينتقل من العلم اليقيني بوجود الله عز وجل إلى شيء يراه بعينه، [قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ] إلى آخر الآية، فأنت لا تطلب العلم الشهودي، كلما نما عقل الإنسان يؤمن بعقله وليس بعينه، آمن بعقلك، الإيمان بالعين دعه، إن أتى فهو شهود ويزيد يقينك، لكن إيمانك بالعقل، فهنا قال: [وَلْيَتَعَلَّمَنَّ أَنَّنَّ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا] وعد الله حق وهي تعلم ذلك سابقاً، وأكبر دليل على أنها تعلم أنها ألقته في البئر، لكن لما رأت ابنها بين يديها علمت الآن أن وعد الله حق شهوداً، بعد أن علمته يقيناً دون شهود، [وَلْيَتَعَلَّمَنَّ أَنَّنَّ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا] وهذا موطن مهم جداً في القصة، وفي السورة، أن تعلم أن وعد الله حق، لأن الله يحمي أوليائه وأصفياءه كما قلنا، [وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] أولاً: [أَكْثَرَهُمْ] الكثرة في القرآن مذمومة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ

[سورة يوسف: 106]

وكتيراً ما يتكرر في القرآن: [وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] لا يعلمون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِن تُطِغْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ بِضُلُوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

فلا تغتر بالأكثرية، لا تقل: نحن كثرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ

[سورة الزخرف: 39]

الكثرة في القرآن مذمومة :



الحق هو ما وافق الشرع ولو كان واحداً

قلت لكم مرة إذا دخل المعلم الصف وقال: من لم يكتب الواجب؟ وهناك شخص مقصر، أو قال: ضعوا الواجبات أمامكم لتتابعها، ويوجد في الصف طالب مقصر لم يكتب واجبه، فوراً يضع رأسه خلف ظهر زميله ويعلو صوته قليلاً: لم نكتبها أستاذ، لا يقول: لم أكتبها، يقول: لم نكتبها، لأنه بعقله الباطن يتوهم أن المدرس إذا وجد الكثرة الكثيرة لم يكتبوها فلا يعاقب، وهذا يحدث أحياناً مع الأسف، إذا فعلها المدرس مرةً يصبح الجميع لا يكتبون الوظيفة، أما المدرس العاقل إذا كان هناك تسعة وعشرون طالباً لم يكتبوها وكتبها طالب واحد، إما أن يكافئ الواحد أو يعاقب التسعة والعشرين، لأنه إذا لم يكن هناك حساب استوى المحسن والمسيء، والله لا يريد أن يستوي المحسن والمسيء، يجب أن تكافئه وتعززه وتقول لهم: صديقكم كتب الوظيفة وتعطيه علامة زائدة، وتقول للطلاب: صفقوا له حسب عمر الطلاب، أو تعاقب التسعة والعشرين تقول لهم: كلكم بناءً على ترك هذا الواجب سأعطيكم كذا وكذا، تعطيهم واجباً آخر مثلاً، إذا الكثرة لا تنفع أمام الله عز وجل فقال: [وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ] لا تنظنوا أنكم كثرة فهذا سوف ينفعكم، فالكثرة في القرآن الكريم مذمومة، فإذا كنت في الطريق وجدك فلا تغتر بكثرة الهالكين، والحق هو ما وافق الشرع ولو كان واحداً، والباطل هو ما عارض الشرع ولو كان مليوناً، والكثرة هي الحق، والقلة هي الباطل، ولو كثر أهل الباطل، أي مقياس الكثرة والقلة، من الكثير؟ الكثير بإيمانه وبموافقته للحق، وذاك ولو كثر قليل لأنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَمَّا الرَّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً

[سورة الرعد: 17]

فهنا [ولكن أكثرهم] لا يعلمون [لا يعلمون] أن وعد الله حق، اليوم في الأرض إذا كان فيها ألف إنسان، كم واحد منهم يعلمون أن وعد الله حق؟! أنا أريد أن أضع نسبة، مع أن النسب مهما قلت لن تكون دقيقة، لكنني أفترض افتراضاً حتى يذهب ذهنك لشيء، حسب مشاهداتنا اليومية كثرة من الناس لا يعلمون أن وعد الله حق، لا يعلمون يقيناً، أي ممكن باللسان يقول لك: وعد الله حق لكن هو في وعيه الباطن أو في شعوره اللاواعي في الداخل هو ينظر إلى أن وعد فلان من الأقوياء هو الحق، وأن وعد الدولة القوية تلك هو الحق، وأن هذه الدولة إذا قالت فعلت، وأن تلك الدولة إذا أرادت التدمير دمرت، وكأن لها إرادة مستقلة عن إرادة الله جل جلاله! أكثر الناس مع الأسف لا يعلمون أن وعد الله حق، يكون وعيد الطبيب أشد في نفسه أترأ من وعيد الله، فما أجعله، كما قال الإمام الغزالي رحمه الله: (يا نفس لو أن طبيباً منعك من طعام تحببته ألا تمتنعين؟ قالت: بلى، - نفسه قالت: بلى - قال: أليكون وعيد الطبيب أشد عندك من وعيد الله؟ إذا ما أجهلك) ما أجهل الإنسان عندما يعلم أن وعد الطبيب حق، ولا يعلم أن وعد الله حق، عندما يعلم أن وعد ملك من ملوك الأرض حق، ولا يعلم أن وعد الملك الذي يملك ملوك الأرض كلهم حق.

قرار العين دليل على الاستقرار والسكون وذهاب القلق والخوف :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَرَدَتْهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا

[سورة القصص: 13]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا

[سورة الفرقان: 74]



الطمأنينة والسلام الداخلي

فالتعبير بفرار العين هو الدليل على استقرارها، وسكونها، وذهاب القلق والخوف، فهي أصبح فؤادها فارغاً، لكن في محصلة الأمر قرَّت عينها وذهب الحزن عنها [وَلَا تَحْزَنَ] وَتَتَعَلَّمُ أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ]، ورد أنه عندما حرم الله عليه المراضع وجعلوا يبحثون عن من يرضعه فلم يجدوا، داروا به في الأسواق وقالوا: من يرضعه؟ [فَقَالَتْ هَلْ أَذْكَمٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ يَكْفُلُونَهُ] فلما جاء بموسى إليها طلبوا منها أن ترضعه، أو أن تأتي للقصر لترضعه فقالت: بل أرضعه عندي، أنا عندي زوج وأولاد، وكذا، فرده الله إليها، وعندما تقول: رباه فرعون في قصره فهذا من باب المجاز والله أعلم، هو ربي في بيته لكن على عين فرعون، لأنها الآن هي سترضع له، فانظروا الآن كيف أصبحت حياتها؟ الخير جاءها من كل حذب وصوب لأنها هي كانت سترضع ابنها الطريد الذي هو في قانون فرعون للذبح، الآن أصبحت تربيته لفرعون، هو يقول لها: اعطني به، واطلبي كل ما تحتاجين.

وهذا ورد في حديث وإن كان ليس صحيحاً هو حديث ضعيف: (رحم الله أم موسى ترضع وليدها وتأخذ أجزها) حديث فيه ضعف، لكن متنه صحيح، تأخذ أجزها على إرضاع ابنها، مع أن الأم لا تأخذ أجزها على إرضاع ابنها، تأخذ أجزها على إرضاع ابن غيرها، فهي كان وليدها ولكن لا أحد يعلم، [قَرَدَتْهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ]، كي تقر عينها ولا تحزن، [ولتعلم] هذه الثالثة، أصبح فرار عين، لا تحزن، وتتعلم أن وعد الله حق.

ملمح مهم ولطيف في قوله تعالى [قَرَدَتْهُ إِلَى أُمِّهِ] :



الهدف المعنوي أتمن من الهدف المادي

يوجد ملمح مهم ولطيف في الآية: [قَرَدَتْهُ إِلَى أُمِّهِ] ربما يكون الهدف المعنوي أتمن من الهدف المادي، وهو كي تعلم أن وعد الله حق، لكن ربنا عز وجل تماشياً مع حاجتها بدأ بالهدف المادي الذي كان قريباً جداً من الذي كانت تريده هي، هي خائفة فما قال: رددناه إلى أمه لتعلم أن وعد الله حق وكي تقر عينها، لا، بدأ بقرارة عينها وهدوء نفسها، أي هو ملمح، عندما تجد إنساناً جائعاً يكاد يموت من الجوع ادخل عليه وأنت معك دجاجة مشوية، خباتها في الخارج، ودخلت إليه، وبدأت الروائح تفوح، وأنت تقول له: أريد أن أجدك عن فوائد الصبر على الجوع، وكم يجب علينا أن نصبر على الجوع، صحيح أنت جائع الآن لكن الله عز وجل سيشبك على صبرك، أخي أولاً أحضر الدجاجة وأطعمه، وبعد أن يشبع قل له: الحمد لله على نعم الله، الآن سأحدثك عن فوائد الصبر، لكن حقق له حاجته، فالملمح اللطيف أن الله تعالى قال: [كي تقر عينها ولا تحزن وتتعلم أن وعد الله حق] فجاء بالهدف الكبير بعد الهدف الذي يبدو صغيراً لكن بالنسبة لها كان كبيراً جداً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ
الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ

[سورة إبراهيم: 37]



الصلاة هي الهدف الكبير

بدأ بالهدف الكبير الصلاة، هنا دعاء ليس تحقيق حاجات، هو تركهم وبدأ يدعو لوحده، فلما دعا ماذا قال؟ نرى الأنبياء وعظمة منهم، وعظمة أفقهم، كنت تتخيل أنت أن أول شيء: ربنا ارزقهم، لكن هو قال: رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ بدأ بالهدف الكبير، ثم تنى بهدف ليس صغيراً ولكنه أصغر بقليل من الأول فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ الناحية الاجتماعية، آخر دعاء وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ أي آخر هدف هو هدف الطعام الذي هو هدف بسيط جداً أمام أن تكون في مجتمع، لأنه إذا كان عندك طعام وتعيش وحيداً الهدف الأكبر هو الاجتماع ثم الأكبر والأكبر والأعظم هو إقامة الصلاة، ففي الدعاء بدأ بإقامة الصلاة ثم تنى بالناحية الاجتماعية، ثم تلت بالناحية الفيزيولوجية بأنهم يأكلون ويشربون، وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ، هنا ربنا عز وجل تلبيةً لحاجتها بدأ لنا ليعلمنا درساً قال: كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ الآن اطمانت وانها أصبح بين يديها وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يعلمون أن وعد الله حق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته